فلما أبى المجرمون قبول نصيحتهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار وعبروا
بذلك سنتين فلعنهم داود وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم
من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الحائط فإذا
هم جميعا قردة لها أذناب يتعاوون قال قتادة صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فمكثوا
ثلاثة أيام وماتوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا قال الله تعالى فقلنا لهم كونوا
قردة أمر تكوين وتحويل خاسئين مبعدين مطرودين قيل فيه تقديم وتأخير أي كونوا خاسئين قردة
ولذلك لم يقل خاسئات والخسأ الطرد والإبعاد وهو لازم ومتعد يقال خسأته فخسأ خسوءا
مثل رجعته رجعا فرجع فجعلناها أي جعلنا عقوبتهم بالمسخ نكالا أي عقوبة وعبرة والنكال اسم
لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليه ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع
وأصله من النكل وهو القيد وجمعه أنكال لما بين يديها قال قتادة أراد بما بين يديها ما سبقت
من الذنوب أي جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيهم عن أخذ الصيد وما خلفها
ما حضرت من الذنوب التي أخذوا بها وهي العصيان بأخذ الحيتان وقال أبو العالية والربيع عقوبة
لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يستنوا بسنتهم وما الثانية بمعنى من وقيل جعلناها
أي جعلنا قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها أي للقرية التي كانت مبنية في الحال وما خلفها
ما يحدث من القرى من بعد ليتعظوا وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناها وما خلفها أي ما
أعد لهم من العذاب في الآخرة نكالا وجزاء لما بين يديها أي لما تقدم من ذنوبهم باعتدائهم في السبت
وموعظة للمتقين للمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا تفعلوا مثل فعلهم قوله تعالى وإذ قال موسى
لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة البقرة هي الأنثى من البقر وهي مأخوذة من البقر وهو
الشق لأنها تشق الأرض للحراثة والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير سميت به
لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى فألقاه بفنائهم ثم أصبح
يطلب ثأره وجاء بناس إلى موسى عليه السلام يدعي عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا واشتبه
أمر القتيل على موسى قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو
الله ليبين لهم بدعائه فأمرهم بذبح بقرة فقال لهم موسى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا
أتتخذنا هزوا أي تستهزئ بنا نحن نسألك عن أمر القتيل وتأمرنا بذبح البقرة وإنما قالوا ذلك لبعد
ما بين الأمرين في الظاهر ولم يدروا ما الحكمة فيه قرأ حمزة هزءا وكفؤا بالتخفيف وقرأ الآخرون
بالتثقيل وبترك الهمز حفص قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين من المستهزئين بالمؤمنين
وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل فلما علم القوم أن
ذبح البقرة عزم من الله عز وجل استوصفوه ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم
ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح
له ابن طفل وله عجلة أتى بها غيضة وقال اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فصارت
العجلة في الغيضة عوانا بكرا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته فكان يقسم الليلة

ثلاثة

ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي
به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوما
إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى
المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك بإله إبراهيم
وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت
البقرة بإذن الله وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فإن ذلك أهون عليك فقال
الفتى إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة بإله بني إسرائيل لو ركبتني
ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك
بأمك فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام
بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن
البقرة إذ ذاك ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله إليه ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى
كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط
عليك رضا والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو أعطيتني وزنها
ذهبا لم آخذه إلا برضى أمي فردها إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على
رضى مني فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى إنها أمرتني أن لا أنقصها
من ستة على أن أستأمرها فقال الملك فإني أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع
إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليجربك فإذا أتاك فقل له أتأمرنا
أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران
يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير فأمسكوها وقدر الله على بني إسرائيل
ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلا
منه ورحمة فذلك قوله قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أي ما سنها قال موسى إنه يقول يعني فسأل الله
فقال إنه يعني إن الله يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر أي لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي
لا تلد يقال منه فرضت تفرض فروضا والبكر الفتاة الصغيرة التي لم تلد قط وحذفت الهاء
منهما للاختصاص بالإناث كالحائض عوان نصف بين ذلك أي بين السنين يقال عونت المرأة تعوينا إذا
زادت على الثلاثين قال الأخفش العوان التي نتجت مرارا وجمعها عون فافعلوا ما تؤمرون من
ذبح البقرة ولا تكرروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء
فاقع لونها قال ابن عباس شديد الصفرة وقال قتادة صاف وقال الحسن الصفراء السوداء والأول أصح
لأنه لا يقال أسود فاقع وإنما يقال أصفر فاقع وأسود حالك وأحمر قانئ وأخضر ناضر وأبيض يقق
للمبالغة تسر الناظرين إليها يعجبهم حسنها وصفاء لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أسائمة أم
عاملة إن البقر تشابه علينا ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر كقوله تعالى أعجاز نخل منقعر وقال الزجاج

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)